بُناة دَوْلَةِ الإسْلام

- ١٩ -

صِهْرُ رَسُوْلِ اللهِ صلى الله عليه وسلم

أبو العاص بن الربيع

رضي الله عنه

بسم الله الرحمن الرحيم

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي حَقِّهِ:
«حَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَوَعَدَنِي فَوَفَى لِي».

متفق عليه

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْـدُ لِلَّهِ رَبِّ العَـالَمِينَ وَالصَّـلاَةُ وَالـسَّـلامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ وَبَعْدُ:

فَقَدْ كَانَ لِخَدِيجَةَ بِنْتِ خُوَيْلِدٍ أُخْتٌ تُدْعَى «هَالَةَ»، وَبَيْنَ الأُخْتَيْنِ حُبٌّ كَبِيرٌ أَكْثَرُ مِمَّا يَكُونُ بَيْنَ الأَخَوَاتِ عَادَةً. وَتَزَوَّجَتْ خَدِيجَةُ مِنْ أَبِي هَالَةَ بن زُرَارَةِ التَّمِيمِيِّ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ ابنَةً أَطْلَقَتْ عَليها اسْمَ أُخْتِهَا «هَالَةَ» تَقْدِيراً وَمَحَبَّةً، ثُمَّ تَزَوَّجَتْ بَعْدَهُ عَابِدَ بنَ عَبدِاللَّهِ بنِ عُمَرَ المَخْزُومِيِّ، وَلَمْ تَطُلِ الحَياةُ بَيْنَهُما كَذَلِكَ.

وَتَزَوَّجَتْ هَالَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ الرَّبِيعَ بنَ عَبْدِالعُزَّى بن عَبْدِ شَمْسٍ بنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ وَلَداً هُوَ «أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ»[1]، وكَانَتْ خَالَتُهُ خَدِيجَةُ تُحِبُّهُ كَثِيراً، وَتَعُدُّهُ كَوَلَدٍ لَهَا، وَخَاصَّةً أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهَا مِنْ وَلَدٍ.

---

(١) يُسمَّى أبو العاص «لقيط»، ويُدعى جرو البطحاء، كما يقال: إن اسم أبيه «ربيعة».

وَتـزَوَّجتْ خَدِيجَـةُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّـدِ بنِ عَبْدِاللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهِيَ أَكْبَرُ مِنْهُ، وَأَنْجَبَتْ مِنْهُ الذُّكُورَ وَالإِنَاثَ، وَمَاتَ الذُّكُورُ صِغَاراً، وَبَقِيَتِ البَنَاتُ، وَكَانَتْ أَكْبَرَ بَنَاتِ خَدِيجَـةَ مِنْهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، «زَيْنَبُ»، وَلَمَّا شَبَّتْ زَيْنَبُ خَطَبَهَا ابنُ خَالَتِهَا أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ، وَتَمَّ الزَّوَاجُ، وَكَانَ مُوَفَّقاً، وَكَانَ بَيْنَ هَذَيْنِ الزَّوْجَيْنِ حُبٌّ شَدِيدٌ، واسْتَمَرَّ مُدَّةَ حَيَاتَيْهِمَا.

وَبُعِثَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَـلَّمَ، وَآمَنَـتْ بِدَعْوَتِهِ زَوْجُهُ أُمُّ المُؤْمِنِينَ خَدِيجَـةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأَهْلُ بَيْتِهِ كُلُّهُمْ بِمَا فِيهِمْ بَنَاتُهُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِنَّ، وَلَمْ يُسْلِمْ أَبُو العاص بنُ الرَّبِيعِ، كَمَا لَمْ يُسْلِمْ صِهْرَا النَّبِيِّ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، الآخَرَيْنِ، وَهُمَـا: عُتْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبٍ الَّذِي كَانَ زَوْجَ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَخُـوهُ عُتَيْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبٍ الَّـذِي كَانَ زَوْجَ أُمِّ كُلْثُـومٍ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وابْنَا أَبِي لَهَبٍ هَذَيْنِ كَانَا زَوْجَيْنِ لِبِنْتَيْ رَسُـولِ اللَّهُ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ لَمْ يَكُونَا قَدْ دَخَلاَ بِهِنَّ بَعْدُ.

بَدَأَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، الدَّعْـوَةَ سِرّاً،

فآمَنَ لَهُ عَدَدٌ مِنْ أَهْلِـهِ وَقَوْمِهِ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ، ثُمَّ جَهَرَ بِالدَّعْوَةِ فَوَقَفَتْ قُـرَيْشٌ فِي وَجْهِهِ بَغْيـاً وَعُتُوّاً واسْتِكْبَـاراً فِي الأرض. تَغَطْرَسَتْ قُرَيْشٌ خَـوْفاً عَلَى زَعَـامَتِها، وَتَعَـاظَمَتْ بِأَمْوَالِهَا خَشْيَةً عَلَى مَصَالِحِهَا، وَتَفَاخَرَتْ بِمَكَانَتِهَا حِرْصاً عَلَى وَجَاهَتِهَا، وآسْتَبَدَّتْ بِقُوَّتِهَا طَمَعَاً فِي اسْتِعْبَادِ الضُّعَفَاءِ، وَإِبْقَاءِ الأَرِقَّـاءِ، وَتَمَلُّكِ الإِمَـاءِ، وَتَحْقِيقِ الشَّهَـوَاتِ. واسْتَعْـلَى المُسْلِمُـونَ بـإِيمَـانِهِمْ، وَتَحَمَّلُوا الأَذَى والحَـرْبَ النَّفْسِيَّـةَ والاقْتِصَادِيَّةَ وَصَبَرُوا. . . وَصَبَرُوا حَتَّى نَصَرَهُمُ اللَّهُ.

وَمِنَ الحَرْبِ الاقْتِصَادِيَّةِ وَالنَّفْسِيَّةِ رَأَتْ قُرَيْشٌ أَنْ يُطَلِّقَ أَبْنَـاؤُهَا بَنَـاتِ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، فَطَلَبَتْ مِنْهُمْ ذَلِكَ، وَكَانَ أَبُو لَهَبٍ عَبْدُالعُـزَّى بنُ عَبْدِالمُـطَّلِبِ عَمُّ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنْ أَشَدِّ قُرَيْشٍ عَدَاوَةً لابنِ أَخِيهِ مُحَمَّدٍ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ، وَقَـدْ أَكَّدَ عَلَى آبْنَيْهِ عُتْبَةَ وَعُتَيْبَةَ تَرْكَ زَوْجَتَيْهِمَا رُقَيَّةَ وَأُمِّ كُلْثُومٍ ابنَتَيْ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، وَأَنْـزَلَ اللَّهُ سُبْحَـانَـهُ وَتَعَالَى قَوْلَهُ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ، مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ، سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، فِي جِيـدِهَا حَبْـلٌ مِنْ مَسَدٍ﴾ حَيْثُ كَـانَ أَبُـو لَهَبٍ يُنْفِقُ المَـالَ

وَيُحَارِبُ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَدَعْوَتَهُ، وَتُثِيرُ زَوْجُهُ أُمُّ جَمِيلٍ أَرْوَى بِنْتُ حَرْبِ بنِ أُمَيَّةَ أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ الفِتْنَةَ وَالشَّائِعَاتِ ضِدَّ الإِسْلَامِ وَنَبِيِّهِ وَهِيَ حَمَّالَةُ الحَطَبِ. فَلَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ السُّورَةُ قَالَ أَبُو لَهَبٍ لابنِهِ عُتْبَةَ: «رَأْسِي مِنْ رَأْسِكَ حَرَامٌ إِنْ لَمْ تُطَلِّقِ ابْنَتَهُ» فَفَارَقَهَا قَبْلَ الدُّخُولِ، وَقَدِ آشْتَرَطَ عَلَى قُرَيْشٍ أَنْ يُزَوِّجُوهُ بِنْتَ أَبَانَ بنِ سَعِيدِ بنِ العاصِ، ففعلُوا. وَتَزَوَّجَ رُقَيَّةَ بَعْدَ ذَلِكَ عُثمانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَهَاجَرَتْ مَعَهُ إِلَى الحَبَشَةِ الهِجْرَتَيْنِ، وَأَنْجَبَتْ لَهُ عَبْدَاللَّهِ الَّذِي مَاتَ صَغِيراً ابنَ سِتِّ سَنواتٍ، وَمَرِضَتْ فِي المَدِينَةِ قُبَيْلَ بَدْرٍ، وَتُوُفِّيَتْ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَالمُسْلِمُونَ بِبَدْرٍ.

وَكَذَلِكَ فَارَقَ عُتَيْبَةُ بنُ أَبِي لَهَبٍ زَوْجَهُ أُمَّ كُلْثُومٍ بِنَاءً عَلَى طَلَبِ أَبِيهِ وَزُعَمَاءِ قُرَيْشٍ قَبْلَ الدُّخُولِ، وَتَزَوَّجَهَا عُثْمانُ بنُ عَفَّانَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بِكْرَاً بَعْدَ وَفَاةِ أُخْتِهَا رُقَيَّةَ وَذَلِكَ سَنَةَ ثَلَاثٍ، وَلَمْ تَلِدْ لَهُ، وَتُوُفِّيَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ تِسْعٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كُنَّ عَشْرَاً لَزَوَّجْتُهُنَّ عُثْمَانَ».

وَسَعَتْ قُرَيْشٌ فِي أَبِي العَاصِ بنِ الرَّبِيعِ لِيُطَلِّقَ زَوْجَهُ

زَيْنَبَ بِنْتَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُزَوِّجُوهُ مَنْ شَاءَ مِنْ نِسَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ أَبُو العَاصِ مِنْ تُجَّارِ قُرَيْشٍ وَأُمَنَائِهِمْ، وَمِمَّنْ يُحِبُّهُ النَّاسُ، وَلَكِنَّ أَبَا العَاصِ رَفَضَ كَلَامَهُمْ، وَأَصَرَّ عَلَى بَقَاءِ زَوْجِهِ وَقَالَ: «لَا أُفَارِقُ صَاحِبَتِي، وَمَا أُحِبُّ أَنَّ لِي بِامْرَأَتِي امْرَأَةً مِنْ قُرَيْشٍ»، وَٱسْتَعْمَلَ كَلِمَةَ صَاحِبَتِي دَلَالَةً عَلَى الوَفَاءِ وَالحُبِّ المُتَبَادَلِ بَيْنَ الزَّوْجَيْنِ، والتَّقْدِيرِ لِزَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وٱشْتَدَّ أَذَى المُشْرِكِينَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَصْحَابِهِ، وَاضْطُرَّ أَخِيراً لِمُغَادَرَةِ مَكَّةَ إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَكَذَلِكَ هَاجَرَ أَصْحَابُهُ جَمَاعَاتٍ وَأَفْرَاداً، وبَقِيَتْ زَيْنَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فِي مَكَّةَ مَعَ زَوْجِهَا، هِيَ مُسْلِمَةٌ، وَزَوْجُهَا عَلَى شِرْكِهِ.

وَتَشَكَّلَتِ الدَّوْلَةُ الإِسْلَامِيَّةُ الأُولَى فِي المَدِينَةِ، وَتَعَرَّضَ المُسْلِمُونَ لِقَوَافِلِ قُرَيْشٍ فِي دِرَاسَتِهِمْ للأَرْضِ، وَصِلَتِهِمْ مَعَ القَبَائِلِ، وَتَحَرُّشاً بِقُرَيْشٍ لِأَمْرٍ يُرِيدُهُ اللَّهُ، وَأُذِنَ بِالقِتَالِ ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا، وَإِنَّ اللَّهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ. الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ، وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ

وَبِيَـعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَـاجِـدُ يُـذْكَـرُ فِيهَـا اسْمُ اللَّهِ كَثِيـراً، وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ، إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[1].

وَتَعَرَّضَ المُسْلِمُونَ لِعِيرِ أَبِي سُفْيَانَ العَائِدَةِ مِنَ الشَّـامِ بَعْدَ أَنْ أَفْلِتَتْ مِنْهُمْ فِي الذَّهَابِ، فَتَرَقَّبُوا عَوْدَتَها، وَأَحسَّ أَبُو سُفْيَانَ بِالخَطَرِ، فَبَعَثَ مَنْ يُخْبِرُ قُرَيْشاً، وَيَطْلُبُ مِنْهَا إِنْقَـاذَ عِيـرِهَا، وَخَـرَجَتْ قُرَيْشٌ لِقِتَـالِ المُسْلِمِينَ وَتَأْدِيبِهِمْ ـ عَلَى زَعْمِ قَادَتِها ـ وَإِنْقَاذِ قَافِلَتِهَا، وَخَرَجَ أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ مَعَ مَنْ خَرَجَ مِنْ قُرَيْشٍ ، وَأَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَنْجُوَ أَبُو سُفْيَانَ وَقَافِلَتَهُ، وَأَنْ يَقَعَ القِتَالُ بَيْنَ قُرَيْـشٍ وَالمُسْلِمِينَ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْراً كَانَ مَفْعُولاً، إِذْ أَصَرَّتْ قُرَيْشٌ عَلَى مُتَابَعَةِ سَيْرِهَا وَالصِّدَامِ مَـعَ المُسْلِمِينَ مَعَ عِلْمِهَا بِنَجاةِ قَافِلَةِ أَبِي سُفْيَانَ الَّتِي خَرَجُوا مِنْ أَجْلِهَا.

وَالتَقَى الفَرِيقَانِ وَدَارَتْ بَيْنَهُمَا مَعْرَكَـةٌ فِي أَرْضِ بَدْرٍ، تَحَطَّمَتْ فِيها كِبْرِياءُ قُرَيْشٍ رَغْمَ كَثْرَتِها، إِذْ قُتِلَ زُعَمَاؤُهَا، وَأُسِرَ كُبَرَاؤُهَا، وَوَلَّتِ الأَدْبَارَ، وَانْتَصَرَ المُسْلِمُونَ رَغْمَ قِلَّتِهِمْ، إذ قَتَلُوا، وَأَسَـرُوا، وَغَنِمُـوا، وَارْتَفَعَتْ رَايَتُهُمْ، وَكَـانَ بَيْنَ

---

(١) سورة الحج: الآيات ٣٩ ـ ٤٠.

أَسْرَى قُرَيْشٍ صِهْرُ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبُو العاصِ بنُ الرَّبيعِ ، وَقَدْ سِيقَ مَعَ الأَسْرَى إِلَى المَدِينَةِ لِيَنْظُرَ فِي أَمْرِهِمْ، وَيَحْكُمَ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. وَكَانَ الَّذِي أَسَرَ أَبَا العَاصِ بنَ الرَّبِيعِ عَبْدُاللَّهِ بنُ جُبَيْرٍ الأَنْصَارِيُّ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقِيلَ: إِنَّ الَّذِي أَسَرَهُ خِرَاشُ بنُ الصِّمَّةِ، أَحَدُ بَنِي حَرَامٍ.

وَاسْتَشَارَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَصْحَابَهُ، رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، فِي أَسْرَى بَدْرٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَشَارَ عَلَيْهِ بِالقَتْلِ حَيْثُ فِيهِمْ سَادَةُ قُرَيْشٍ الَّذِينَ آذُوا المُسْلِمِينَ، وَلِكَيْ يَعْلَمَ النَّاسُ جَمِيعَاً أَنَّهُ لاَ صِلَةَ بَيْنَ الإِسْلاَمِ وَالكُفْرِ، إِذْ سَيَقْتُلُ المُؤْمِنُونَ أَقْرِبَاءَهُمْ مَا دَامُوا يَخْتَلِفُونَ مَعَهُمْ بِالعَقِيْدَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَشَارَ بِالفِدَاءِ كَيْ يَتَقَوَّى المُسْلِمُونَ بِما يَأْخُذُونَ، وَخَاصَّةً أَنَّ فِيهِمْ أَقْرِبَاءَ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِثْلَ: عَمِّهِ العَبَّاسِ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، وَابْنِ عَمِّهِ عَقِيلِ بنِ أَبِي طَالِبٍ، وَابنِ عَمِّهِ نَوْفَلِ بنِ الحَارِثِ بنِ عَبْدِالمُطَّلِبِ، وَصِهْرِهِ أَبِي العَاصِ بنِ الرَّبِيعِ ، وَمَالَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لِلْرَّأْيِ الثَّانِي طَمَعَاً فِي إِسْلاَمِ هَؤُلاَءِ الأَسْرَى، وَقَدْ كَانَ ذَلِكَ، فَحَكَمَ بِالفِدَاءِ.

بَعَثَ أَهْـلُ مَكَّةَ فِي فِـدَاءِ أَسْرَاهُمْ، وَبَعَثَتْ زَيْنَبُ بِنْتُ رَسُـولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي فِـدَاءِ زَوْجِهَا أَبِي العَاصِ بنِ الرَّبِيعِ، وَبَعَثَتْ مَعَ المَالِ قِلَادَةً لَهَـا مِنْ جَزْعِ ظَفَارٍ كَانَتْ قَـدْ أَهْدَتْهَـا إِيَاهَـا أُمُّهَا خَـدِيجَةُ أُمُّ المُـؤْمِنِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَـا، يَوْمَ زَفَـافِهَا، وَسَـارَ فِي الفِـدَاءِ عَمْـرُو بنُ الرَّبِيعِ أَخُو أَبِي العَاصِ، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، القِلَادَةَ عَرَفَهَا، وَرَقَّ لَهَا، وَقَالَ: «إِنْ رَأَيْتُمْ أَنْ تُطْلِقُوا لَهَا أَسِيرَهَا، وَتَرُدُّوا عَلَيْهَا مَالَهَـا، فَٱفْعَلُوا». فَقَـالُوا: نَعَمْ، يَا رَسُولَ اللَّهِ. فَأَطْلَقُوهُ وَرَدُّوا عَلَيْهَا الَّذِي لَهَا.

وَانْطَلَقَ أَبُو العَاصِ نَحْوَ بَلَدِهِ مَكَّةَ، وَكَانَ رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَدْ شَرَطَ عَلَيْهِ أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ، إِذْ لَا تَحِلُّ لَهُ، فَهِيَ مُسْلِمَةٌ وَهُوَ لَا يَزَالُ عَلَى شِرْكِهِ، وَلَمْ يَكُنْ وَهُوَ فِي مَكَّةَ لِيَسْتَطِيعَ أَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَهُمَا، إِذْ أَنَّ الجَاهِلِيَّةَ هِيَ الَّتِي كَانَتْ مُتَحَكِّمَةً فِيهَا، وَوَافَقَ أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ عَلَى الشَّرْطِ، وَوَعَدَ رَسُولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنْ يُخَلِّيَ سَبِيلَ زَيْنَبَ مُذْ يَصِلُ إِلَى بَلَدِهِ، وَقَدْ وَفَى بِـذَلِكَ إِذْ أَمَرَهَا بِاللُّحُوقِ بِأَبِيهَا مُنْذُ قَدِمَ مَكَّةَ، فَخَرَجَتْ تَتَجَهَّزُ.

بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَيْدَ بنَ حَارِثَة

وَرَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ لِيَأْتِيَا بِـزَيْنَبَ، وَقَالَ لَهُمَـا: كُونَـا بِبَطْنِ يَأْجَجَ عَلَى ثَمَـانِيَةِ أَمْيَـالٍ مِنْ مَكَّةَ حَتَّى تَمُـرَّ بِكُمَا زَيْنَبُ، فَتَصْحَبَـاهَا حَتَّى تَـأْتِيَانِي بِهَـا، فَخَرَجَـا إِلَى حَيْثُ أَمَـرَهُمَـا رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَذَلِكَ بَعْدَ شَهْرٍ مِنْ بَدْرٍ أَوْ قَرِيبٍ مِنَ الشَّهْرِ.

وَبَيْنَمَـا كَانَتْ زَيْنَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَـا، تَتَجَهَّزُ لِلُّحُـوقِ بِأَبِيهَا إِذْ لَقِيَتْها هِنْدُ بِنْتُ عُتَبَـةَ زَوْجُ أَبِي سُفْيَانَ بنِ حَـرْبٍ، فَقَالَتْ لَهَا: يَا بِنْتَ مُحَمَّدٍ، أَلَمْ يَبْلُغْنِي أَنَّكِ تُرِيدِينَ اللُّحُوقَ بِأَبِيكِ، فَقَالَتْ زَيْنَبُ: مَا أَرَدْتُ ذَلِكَ؛ فَقَالَتْ هِنْدُ: أَيْ ابْنَةَ عَمِّي، لاَ تَفْعَلِي، إِنْ كَانَتْ لَكِ حَاجَةٌ بِمَتَاعٍ مِمَّا يَرْفُقُ بِكِ فِي سَفَـرَكِ، أَوْ بِمَالٍ تَتَبَلَّغِينَ بِـهِ إِلَى أَبِيـكِ، فَـإِنَّ عِنْـدِي حَاجَتَكِ، فَلاَ تَضْطَنِي[1] مِنِّي، فَإِنَّهُ لاَ يَدْخُلُ بَيْنَ النِّسَاءِ مَا بَيْنَ الرِّجَالِ. ـ تَقُـولُ زَيْنَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «واللَّـهِ مَـا أَرَاهَا قَالَتْ ذَلِكَ إِلاَّ لِتَفْعَلَ، وَلَكِنْ خِفْتُهَا، فَأَنْكَرْتُ أَنْ أَكُونَ أُرِيدُ ذَلِكَ، وَتَجَهَّزْتُ».

فَلَمَّا فَرَغَتْ زَيْنَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، مِنْ جَهَازِهَا قَدَّمَ لَهَا حَمُوهَا كِنَانَةُ بنُ الرَّبِيعِ، أَخُو زَوْجِهَا، بَعِيراً فَرَكِبَتْـهُ، وَأَخَذَ

(١) تضطني: تستحي.

قَوْسَهُ وَكِنَانَتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ بِها نَهاراً يَقُودُ بِهَا، وَهِيَ فِي هَوْدَجٍ لَهَا. وَتَحَدَّثَ بِذَلِكَ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ، فَخَرَجُوا فِي طَلَبِهَا حَتَّى أَدْرَكُوهَا بِذِي طُوَى، فَكَانَ أَوَّلُ مَنْ سَبَقَ إِلَيْها هَبَّارُ بنُ الأَسْوَدِ بنِ المُطَّلِبِ بنِ أَسَدِ بنِ عَبْدِالعُزَّى وَنَافِعُ بنُ عَبْدِ عَمْرٍو الفِهْرِيُّ، فَرَوَّعَها هَبَّارُ بِالرُّمْحِ، وَهِيَ فِي هَوْدَجِها، وَكَانَتْ حَامِلاً، فَلَمَّا رِيعَتْ طَرَحَتْ ذَا بَطْنِهَا، وَذُكِرَ أَنَّ هَبَّاراً نَخَسَ بِهَا الرَّاحِلَةَ فَسَقَطَتْ عَلَى صَخْرَةٍ فَسَقَطَ جَنِينُهَا، وَلَمْ تَزَلْ تَنْزِفُ مِنْهَا الدِّمَاءُ بَيْنَ المُدَّةِ وَالأُخْرَى حَتَّى مَاتَتْ بِالمَدِينَةِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ ثَمَانٍ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ زَوْجُهَا أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ.

وَلَمَّا رَأَى حَمُوهَا كِنَانَةُ بنُ الرَّبِيعِ مَا فَعَلَ هَبَّارُ بَرَكَ، وَنَثَرَ كِنَانَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاللَّهِ مَا يَدْنُو مِنِّي رَجُلٌ إِلاَّ وَضَعْتُ فِيهِ سَهْمَاً، فَرَجَعَ النَّاسُ عَنْهُ وَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ فِي جِلَّةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، فَقَالَ: أَيُّها الرَّجُلُ، كُفَّ عَنَّا نَبْلَكَ حَتَّى نُكَلِّمَكَ، فَكَفَّ؛ فَأَقْبَلَ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى وَقَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ: إِنَّكَ لَمْ تُصِبْ، خَرَجْتَ بِالْمَرْأَةِ عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ عَلاَنِيَّةً، وَقَدْ عَرَفْتَ مُصِيبَتَنَا وَنَكْبَتَنَا، وَمَا دَخَلَ عَلَيْنَا مِنْ مُحَمَّدٍ، فَيَظُنُّ النَّاسُ إِذَا خَرَجْتَ بِابْنَتِهِ إِلَيْهِ عَلاَنِيَّةً عَلَى رُؤُوسِ النَّاسِ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا، أَنَّ ذَلِكَ عَنْ ذُلٍّ أَصَابَنَا عَنْ مُصِيبَتِنَا الَّتِي كَانَتْ،

وَأَنَّ ذَلِكَ مِنَّا ضَعْفٌ وَوَهْنٌ. وَلَعَمْرِي مَا لَنَا بِحَبْسِها عَنْ أَبِيها مِنْ حَاجَةٍ، وَمَا لَنَا فِي ذَلِكَ مِنْ ثُؤْرَةٍ[1]، وَلَكِنْ ارْجِعْ بِالمَرْأَةِ، حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ، وَتَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ قَدْ رَدَدْنَاهَا، فَسُلَّها سِرّاً وَأَلْحِقْهَا بِأَبِيهَا؛ فَفَعَلَ ذَلِكَ كِنَانَةُ. فَأَقَامَتْ زَيْنَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، لَيَالِيَ، حَتَّى إِذَا هَدَأَتِ الأَصْوَاتُ خَرَجَ بِهَا لَيْلاً حَتَّى أَسْلَمَها إِلَى زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ وَصَاحِبِهِ، فَقَدِمَا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَلَمَّا عَلِمَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِمَا تَمَّ لابْنَتِهِ زَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، عَلَى يَدِ هَبَّارٍ وَصَاحِبِهِ تَأَثَّرَ تَأَثُّراً عَظِيماً، فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، سَرِيَّةً أَنا فِيها، فَقَالَ لَنَا: «إِنْ ظَفِرْتُمْ بِهَبَّارِ بنِ الأَسْوَدِ، أَوْ نَافِعِ بنِ عَبْدِ عَمْرٍو فَحَرِّقُوهُمَا بِالنَّارِ». قَالَ: فَلَمَّا كَانَ الغَدُ بَعَثَ إِلَيْنَا فَقَالَ: «إِنِّي كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ بِتَحْرِيقِ هَذَيْنِ الرَّجُلَيْنِ إِنْ أَخَذْتُمُوهُما، ثُمَّ رَأَيْتُ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ أَنْ يُعذِّبَ بِالنَّارِ إِلَّا اللَّهُ، فَإِنْ ظَفِرْتُمْ بِهِمَا فَاقْتُلُوهُمَا».

---

(١) ثؤرة: طلب الثأر.

وَأَقَامَ أَبُو العَاصِ بِمَكَّةَ عَلَى شِرْكِهِ، وَأَقَامَتْ زَيْنَبُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْها بِالمَدِينَةِ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَبِيهَا، حِيْنَ فَرَّقَ الإِسْلاَمُ بَيْنَهُمَا، وَمَرَّتْ أَعْوَامٌ، وَلَمْ يُؤَثِّرْ أَيُّ مَوْقِفٍ غَيْرَ طَيِّبٍ لأَبِي العَاصِ مِنْ زَوْجِهِ زَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بَلْ كَانَ يُحِبُّها حُبَّاً شَدِيدَاً.

وَفِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ مِنْ هِجْرَةِ المُصْطَفَى عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلاَةِ وَالسَّلاَمِ، خَرَجَ أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ تَاجِرَاً إِلَى الشَّامِ، وَكَانَ رَجُلاً مَأْمُوناً، بِمَالٍ لَهُ وَأَمْوَالٍ لِرِجَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ، أَبْضَعُوهَا مَعَهُ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ تِجَارَتِهِ وَأَقْبَلَ قَافِلاً، لَقِيَتْهُ سَرِيَّةٌ لِرَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بِإِمْرَةِ زَيْدِ بنِ حَارِثَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَأَصَابُوا مَا مَعَهُ، وَأَعْجَزَهُمْ هَرَباً، وَقَدِمَتِ السَّرِيَّةُ بِمَا أَصَابَتْ مِنْ مَالٍ إِلَى المَدِينَةِ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ دَخَلَ أَبُو العَاصِ المَدِينَةَ تَحْتَ جُنْحِ الظَّلاَمِ وَعَلَى حِينِ غَفْلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَدَخَلَ عَلَى زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَاسْتَجَارَ بِهَا فَأَجَارَتْهُ، وَجَاءَ فِي طَلَبِ مَالِهِ، فَلَمَّا كَانَ الصُّبْحُ وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى الصَّلاَةِ، وَلَمَّا كَبَّرَ وَكَبَّرَ النَّاسُ مَعَهُ، صَرَخَتْ زَيْنَبُ مِنْ صُفَّةِ النِّسَاءِ: أَيُّها النَّاسُ، إِنِّي قَدْ أَجَرْتُ أَبَا العَاصِ بنَ الرَّبِيعِ. فَلَمَّا سَلَّمَ

رَسُـولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مِنَ الصَّـلاَةِ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، فَقَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ، هَلْ سَمِعْتُمْ مَا سَمِعْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ؛ قَال: أَمَا وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ مَا عَلِمْتُ بِشَيْءٍ مِنْ ذَلِـكَ حَتَّى سَمِعْتُ مَـا سَمِعْتُمْ، إِنَّـهُ يُجِيـرُ عَلَى المُسْلِمِينَ أَدْنَاهُمْ.

وَانْصَـرَفَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْـهِ وَسَلَّمَ، فَدَخَـلَ عَلَى ابْنَتِـهِ، فَقَالَ: أَيْ بُنَيَّـةَ، أَكْـرِمِي مَثْـوَاهُ، وَلاَ يَخْلُصَنَّ إِلَيْكِ، فَإِنَّكِ لاَ تَحِلِّينَ لَهُ. وَسَأَلَتْ زَيْنَبُ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَبَاهَا رَسُـولَ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي أَن يَـرُدَّ عَلَيْهِ مَتَاعَهُ وَمَالَهُ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِلَى السَّـرِيَّةِ الَّتِي أَصَابَتْ مَالَ أَبِي العَاصِ، فَقَالَ لَهُمْ: إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ مِنَّا حَيْثُ قَدْ عَلِمْتُمْ، وَقَدْ أَصَبْتُمْ لَهُ مَالاً، فَإِنْ تُحْسِنُوا وَتَرُدُّوا عَلَيْهِ الَّذِي لَهُ، فَإِنَّا نُحِبُّ ذَلِكَ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ فَهُوَ فَيْءُ اللَّهِ الَّذِي أَفَاءَ عَلَيْكُمْ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ؛ فَقَالُوا: يا رَسُولَ اللَّهِ، بَل نَرُدُّهُ عَلَيْهِ، فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ لَيَـأْتِي بِالـدَّلْوِ، وَيَـأْتِي الرَّجُـلُ بِـالـشَّنَّـةِ[1] وَبِـالإِدَاوَةِ[2]، حَـتَّـى إِنَّ أَحَـدَهُـمْ لَـيَـأْتِـي

(١) الشنـة: السقاء البالي.

(٢) الإداوة: الإناء الصغير من الجلد.

بِالشِّظَاظِ[1]، حَتَّى رَدُّوا عَلَيْهِ مَالَهُ بِأَسْرِهِ لَا يَفْقِدُ مِنْهُ شَيْئاً.

وَقِيلَ لِأَبِي العَاصِ عندما رُدَّ عَلَيْهِ مَالُهُ: هَلْ لَكَ أَنْ تُسْلِمَ وَتَأْخُذَ هَذِهِ الأَمْوَالَ، فَإِنَّها أَمْوَالُ المُشْرِكِينَ؟ فَقَالَ: بِئْسَ مَا أَبْدَأُ بِهِ إِسْلَامِي أَنْ أَخُونَ أَمَانَتِي. فَعُلِمَ مِنْ جَوَابِهِ أَنَّ الإِسْلَامَ قَدْ دَاخَلَ قَلْبَهُ.

احْتَمَلَ أَبُو العَاصِ مَا رُدَّ إِلَيْهِ إِلَى مَكَّةَ، فَأَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي مَالٍ مِنْ قُرَيْشٍ مَالَهُ، وَمَنْ كَان أَبْضَعَ مَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، هَلْ بَقِيَ لِأَحَدٍ مِنْكُمْ عِنْدِي مَالٌ لَمْ يَأْخُذْهُ؛ قَالُوا: لَا، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْراً! فَقَدْ وَجَدْنَاكَ وَفِيًّا كَرِيماً؛ قَالَ: فَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَاللَّهِ مَا مَنَعَنِي مِنَ الإِسْلَامِ عِنْدَهُ إِلَّا تَخَوُّفَ أَنْ تَظُنُّوا أَنِّي إِنَّما أَرَدْتُ أَنْ آكُلَ أَمْوَالَكُمْ، فَلَمَّا أَدَّاهَا اللَّهُ إِلَيْكُمْ وَفَرَغْتُ مِنْهَا أَسْلَمْتُ. ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وَوَصَلَ أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ إِلَى المَدِينَةِ مُهَاجِراً

---

(١) الشظاظ: الخشبة المعقوفة التي تدخل في عرا الأوعية، وجمعها أشظة.

مُسْلِماً، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، زَيْنَبَ عَلَى النِّكَاحِ الأَوَّلِ، وَلَمْ يُحْدِثْ شَيْئاً مِنْ شُرُوطٍ. وَكَانَ إِسْلاَمُ أَبِي العَاصِ قَبْلَ الحُدَيْبِيَّةِ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ أَيْ فِي مُنْتَصَفِ السَّنَةِ السَّادِسَةِ، فَعَاشَ بَعْدَهَا مَا يَقْرُبُ مِنْ سَنَةٍ وَنِصْفِ السَّنَةِ مَعَ زَوْجِهِ زَيْنَبَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، ثُمَّ تُوُفِّيَتْ فِي مَطْلَعِ السَّنَةِ الثَّامِنَةِ، وَقَدْ أَنْجَبَتْ مِنْهُ عَلِيّاً الَّذِي أَرْدَفَهُ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَرَاءَهُ يَوْمَ الفَتْحِ، وَقَدْ تُوُفِّيَ صَغِيراً، وَأُمَامَةَ الَّتِي كَانَ يَحْمِلُها رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فِي صَلاَتِهِ وَيَضَعُهَا إِذَا سَجَدَ، وَالَّتِي تَزَوَّجَهَا عَلِيُّ بنُ أَبِي طالبٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بَعْدَ وَفاةِ خَالَتِها فَاطِمَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

عَاشَ أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي المَدِينَةِ يُشَارِكُ المُسْلِمِينَ فِي كُلِّ الأَحْدَاثِ، وَيَضَعُ نَفْسَهُ حَيْثُ وَضَعَهُ اللَّهُ، فَلاَ يَتَطَاوَلُ عَلَى أَحَدٍ بِصِفَتِهِ صِهْرَ رَسُولِ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَلاَ يُرِيدُ أَنْ يَتَأَمَّرَ، وَإِنَّمَا كَانَ جُنْدِيّاً فِي كُلِّ مَيْدَانٍ، يَعْرِفُ لِلسَّابِقِينَ مِنَ المُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ قَدْرَهُمْ، وَيُنْزِلُهُمْ مَنْزِلَتَهُمْ، وَتُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ عَنْهُ رَاضٍ.

وَعَاشَ أَبُو العَاصِ بنُ الرَّبِيعِ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، مُدَّةً فِي خِلَافَةِ الصِّدِّيقِ وَتُوُفِّيَ فِي شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ سَنَةَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَرْضَاهُ.